أسرار مبادئ الكلام–المطالع–في سور القرآن آل حم أنموذجا.

The Secrets of the Beginning of the Speech – elmatalaa - in the Suras of the Quran " Hâ.Mîm's family as a model

د. سهام صياد*

تاريخ الاستلام: 2020-11-20 تاريخ القبـــــول: 2022-03-13

الملخّص: يمثّل هذا البحث محاولة لتجليّة وجه من وجوه المعجزة القرآنيّة ألا وهي مبادئ الكلام –أي المطالع–في سور القرآن الكريم، وما تنطوي عليه من العجائب والأسرار التي تستنفر الهمم، وتستفز الألباب للكشف عنها ويتعلّق الأمر بالسّور التي تفتتح بالحروف المقطعة، وخاصّة تلك التي تشترك في حروف واحدة مثل سور آل حم. إذ نبحث تأثير حرفي الافتتاح (ح، م) على مجمل سور الحواميم بناء ومضمونا.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن الكريم، المطالع، سور آل حم.

Summary: This research represents a trial to reveal one of the aspects of the miracle of the Quran, namely the beginnings of speech - that is, the beginning of the suras of the Holy Quran and the wonders and secrets they contain which arouse enthusiasm and provoke hearts to reveal them. This concerns the suras which start with separate letters and especially those which share the same letters as in the suras of " " Hâ.Mîm's family We examine the effect of the two opening letters (H M) in the overall content and form of Al Hawamim's suras ".

Keywords: , the Holy Quran .The beginnings, the suras of "" Al Hawamim ".

مقدّمة: تتجلى عناية القرآن الكريم بمبادئ الكلام أو الافتتاحيات، أو ما يعرف في النّقد المعاصر بالخطاب المقدّماتي بما أودعه فيها من أسرار الحسن، والجمال وذلك بالتّفنن في أساليبها والتّنويع فيها؛ فكان منها التّحميد، وكان منها التّسبيح ومنها

*جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر، البريد الإلكتروني: Sihemsayed511@gmail.com (المؤلّف المرسل).

الثّناء، والنّداء والأمر، ومنها ما كان حروفا مقطعة يلفها الغموض. فكانت هذه الافتتاحيات وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ولا عجب في ذلك فإنّ لابتداء الكلام أثره في الاستحواذ على المتلقي، وضمان تلقي الخطاب، بل هو «مكون جوهري من مكونات النّص»[1]، وخصوصا إذا كان لهذا الأخير مغازي ومقاصد كالقرآن الكريم. وعن أهميّة الافتتاحيات يقول السّيوطي (ت 911 ه): «وهو من البلاغة عند البيانيين، وهو أن يتأنق في أوّل الكلام، لأنّه أوّل ما يقرع السّمع، فإن كان محررا من قِبل السّامع، قَبِل الكلام ووعاه، وإلاّ أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن؛ فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكا، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التّعقيد والتّقديم والتّأخير الملبس، أو الذي لا يناسب. قالوا وقد أتت جميع فواتح السّور على أحسن الوجوه وأكملها، كالتّحميدات وحروف النّداء والهجاء، وغير ذلك»[2]. وذكر الزّركشي (ت794 ه) أنّ الله تعالى افتتح كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السّور عنها[3]. وآل حم: هي سبع سور نزلت بمكة المكرمة حسب ترتيبها في المصحف وهي: سورة غافر وفصلت، والشّورى، والزّخرف، والدّخان، والجاثيّة، وسورة الأحقاف. سميت بذوات حاميم، وبالحواميم، وبآل حم لأنّها افتتحت كلّها بحرفي الافتتاح الحاء والميم[4]. وقد حوت افتتاحيّة هذه السّور عناصر ثابتة قارّة؛ تتمثّل في حرفي الافتتاح يليها ذكر الكتاب وشؤونه، ثم الخالق عزّ وجلّ، وهو ما سنتعقبه بالتّحليل في هذه الورقة البحثيّة.

1.1–الحروف المقطعة: وردت حروف التّهجي أو المقطعة في تسع وعشرين سورة هي: البقرة (الم)، آل عمران (الم)، الأعراف (المص)، يونس (الر)، هود (الر) يوسف (الر)، الرّعد(المر)، إبراهيم (الر)، الحجر (الر)، مريم (كهيعص)، طه (طه) الشّعراء (طسم)، النّمل (طس)، القصص (طسم)، العنكبوت (الم)، الرّوم (الم)، لقمان (الم)، السّجدة (الم)، يس (يس)، ص (ص)، غافر، فصلت، الشّورى، الزّخرف الدّخان، الجاثيّة، الأحقاف (حم)، ق (ق)، ن (ن). هذه الحروف المقطعة كما أشار الباقلاني (ت 403 ه) تمثل نصف أسامي حروف المعجم الأربعة عشر –حرفا– وجاءت مشتملة على أنصاف أجناس الحروف؛ فمن المهموسة نصفها، ومن

المجهورة نصفها، ومن الشّديدة نصفها، ومن المطبقة نصفها... إلى آخره[5]، وقد فصّل الزّمخشري (ت 538 هـ) أكثر في خصائصها الصّوتيّة[6]. فهي تعتبر مكمن أسرار القرآن الكريم، وسر إعجازه وسحره. وكما قال الصّديق رضي الله عنه: «في كلّ كتاب سرّ وسرّ الله تعالى في القرآن أوائل السّور»[7]، وعليه فإنّ الحديث عن هذه الحروف ظلّ وسيظلّ ضربا من التّخمين الذي يجانبه اليقين والعلم، فليس من دليل واحد مأثور عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو صحابته الكرام يبيّن حقيقة هذه الحروف، وسرّ ورودها في هذه الهيئات، وفي هذه المواضع بالتّحديد –مطالع السّور–وبهذا العدد ولمَ هذه الحروف، وليس غيرها ممّا لم يرد ذكره... إلخ. وكلّ هذه الأسئلة وغيرها يحيل على المبهم المتشابه الذي أمرنا أن نقول آمنا به كلّ من عند ربّنا. أو كما قال الشّعبي: «إنّها من المتشابه، نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عزّ وجلّ»[8]. أو علم الغيوب على رأي الباقلاني[9] وما قيل حولها هو من قبيل الاجتهاد لا غير. وقد انقسم علماء الأمّة حيال مسألة حروف التّهجّي إلى قسمين قسم ركب صهوة التّأويل مجازفا ومغامرا، وقسم اختار تفويض علمها إلى الله عزّ وجلّ العالم وحده بأسرار كلامه. وكما قال الرّازي (ت 606 هـ): «واعلم أنّ الكلام في أمثال هذه الفواتح يضيق، وفتح باب المجازفات ممّا لا سبيل إليه، فأولى أن يفوّض علمها إلى الله»[10]. وما أجمعت عليه الأمّة أنّ هذه الحروف متحدى بها جيء بها لإقامة الحجّة على من أنزل عليهم القرآن الكريم، وهم أمراء البيان، وأرباب الفصاحة، فهذه الحروف هي من جنس حروف كلامهم، ومع ذلك سقط في أيديهم، وعجزت مكنتهم اللغويّة وتضاءلت قامتهم البلاغيّة أمّام معجزة القرآن التي تحدّتهم بأقصر سورة منه، بل ولو اجتمع الإنس والجنّ على أن يأتوا بكلمة واحدة بدل كلمة قرآنيّة لمّا استطاعوا إلى ذلك سبيلا. فالغرض منها كما قال الزّمخشري (ت 538 هـ): «الإشعار بأنّ الفرقان ليس إلاّ كلمات عربيّة معروفة التّركيب من مسميات هذه الألفاظ كما قال عزّ من قائل { **قُرآنًا عَرَبِيًّا**}... والوجه الثّاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التّعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه، وكتحريك النّظر في أنّ هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النّظر إلى أن يستيقنوا أن لم

تتساقط مقدرتهم دونه، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار...»[11]. وذهب الرّازي (ت 606 هـ) إلى أنّ المقصود بالتّنبيه ليس الكفار وإنما الرّسول –صلى الله عليه وسلم–يقول: «الحكيم إذا خاطب من يكون محل الغفلة ومن يكون مشغول البال بشغل من الأشغال، يقدم على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت المخاطب بسببه إليه ويقبل بقلبه عليه ، ثم يشرع في المقصود... والنّبي وإن كان يقظان الجنان لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن، فكان يحسن من الحكيم أن يقدِّم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات»[12]، وأيا من كان المقصود الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، أو المشركين، فإنّ الحروف المقطعة تبقى حجّة قائمة إلى قيام السّاعة على معجزة القرآن الكريم. أمّا بخصوص حرفي الافتتاح في آل حاميم فقد ورد فيها كلام كثير – على غرار بقيّة الحروف المقطعة–منها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حم اسم الله الأعظم، وقال: حم قسم، وقال: حم حروف الرّحمن مقطعة، والمعنى: "الرّ" و"حم" بمنزلة الرّحمن»[13]. والله أعلم بمراده من هذه الحروف، ولما كانت ممّا استأثر الله بعلمه، لم يبق أمامنا سوى البحث عن علاقة هذه الحروف بمضمون السّور المفتتح بها. وقد بحث علماؤنا الأجلاء هذه المسألة، حيث انتهى ابن الزّبير الغرناطي (ت 708 هـ) إلى أنّ هذه الحروف تشكّل مادة كلمات السّورة، فكلّ سورة اختصّت بما بدئت به «حتى لم تكن لترد "الم" في موضع "الرّ" ولا "حم" في موضع "طس"»[14]. ذلك أنّنا نجد أنّ الحرف المفتتح به يكون أكثر دورانا وتواردا في السّورة من غيره من الحروف، أو كما قال: «إنّ هذه السّور إنما وضع في أوّل كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها، ويوضح لك ما ذكرت أنّك إذا نظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلمها، وحروفها وجدت الحروف المفتتح بها تلك السّورة إفرادا، وتركيبا أكثر عددا في كلمها منها في نظيرتها، ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها... وقد اطّرد هذا في أكثرها، فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وقع في موضع "ق" من سورة "ق" "ن" من سورة "ن والقلم"، وموضع "ن"، "ق" لم يمكن لعدم المناسبة المتأصل رعيها في كتاب الله تعالى»[15]، ويوضح الزّركشي (ت 794 هـ) أكثر هذه الملاحظة بعد أن ردّد كلمات ابن الزّبير كما هي،

بأمثلة من القرآن الكريم يقول: «وتأمّل السّورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السّورة على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك: ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، فإن السّورة مبنيّة على الكلمات القافيّة: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين... وسر آخر وهو أنّ معاني السّورة مناسب لما في حرف القاف من الشّدّة، والجهر، والقلقلة، والانفتاح»[16] وكذلك الأمر بالنّسبة لسورة "ص" التي اشتملت على خصومات متعدّدة، من خصومة الكفار مع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، واختصام الخصمين عند داود، ثمّ تخاصم أهل النّار، ثمّ اختصام الملأ الأعلى في العلم، وهو الدّرجات، والكفارات، ثمّ تخاصم إبليس واعتراضه على ربّه وأمره بالسّجود، ثمّ اختصامه ثانيا في شأن بنيه[17] وإذا ما رحنا نختبر صحّة ملاحظة ابن الزّبير والزّركشي وجدنا بالفعل أنّ سور الحواميم تتوارد فيها الكلمات المبنيّة على حرفي الافتتاح (ح) و (م) أكثر من غيرها سواء أكان الحرفان مجتمعين في كلمة واحدة مثل الرّحمن، الرّحيم، الحميد، الرّحمة محيط، الحكيم، رحمة، الحمد الجحيم، الحميم.. تمرحون... إلخ، أم كانا مفترقين مثل: حفيظ، الحي، الحجّة، الحناجر، الملك، السّميع، مبين، كريم، موسى، مؤمن ممنون، العليم، وحتّى بالنّسبة لسورة الشّورى التي ترصعت افتتاحيتها بالإضافة إلى "حم" بحروف مقطّعة أخرى هي "عسق" نجد تواردا فيها لافتًا للانتباه لحرف "س" "ع" "ق"، مثل العلي، العظيم، العزيز، السّعير، عيسى، استقم، السّاعة، قدير مستقيم استقاموا ..إلخ.

أمّا فيما يتعلّق بمشاكلة معاني آل حاميم لصفات حرفي الافتتاح (ح) و(م) فإنّنا نقول بداية إنّ الجذر الذي تفرّعت منه سور الحواميم هو المحاجة وما تظهره، أو تضمره من المحاربة والمعاداة لما جاء به الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–من الحقّ المبين. وهي أيضا محاجة القرآن ومحاورته لكفّار قريش لإبطال ضلالاتهم ودحض شبهاتهم، محاورة تلوّنت في مواقف بالشّدّة والتّخويف بالعذاب المعجّل في الدّنيا وبالعذاب المؤجّل في الآخرة، وبالرّفق واللّين في مواقف أخرى يخفض فيها القرآن جناح الرّحمة لمعارضيه ليتجلّى الرّحمن الرّحيم في أجلّ وأكمل صفاته. ولذلك فالحواميم هي عرض لضلالات قريش التي نصبوها في طريق دعوة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وما أثاروه حولها من الشّبهات والشّناعات، فالقرآن سحر وافتراء وإفك قديم، والرّسول

ساحر، ومعلّم مجنون... إلخ. ومن ثمّة نقول إنّ آل حاميم تتأرجح بين التّرهيب والتّرغيب، والتّعجيل والإمهال والرّفق والشّدّة إلى غير ذلك من الثّنائيات الضّدّيّة، وهي في ذلك تقبس من صفات وخصائص حرفي الافتتاح الحاء والميم.

ح	حلقي، رخو	مهموس	منفتح
م	شفوي، أنفي، متوسّط بين الشّدّة والرّخاوة	مجهور	منفتح

فبالنّظر إلى خصائص الحرفين[18] (الحاء والميم) نجد بأنّهما يشتركان في الانفتاح ويتقاطعان في صفة الرّخاوة، حيث الميم صوت بين الرّخاوة والشّدّة، ويفترقان من حيث الهمس والجهر، ولهذه الصّفات ظل ظليل في آل حاميم وغلالة رقيقة تشتمل بها السّور السّبع، بدءا بأسماء الله الحسنى التي تواترت وتردّدت أصداؤها في جنبات السّور السّبع كصفتي الرّحمن الرّحيم اللّتين جاءتا مجتمعتين في افتتاحيّة فصّلت في قوله تعالى: ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[فصّلت/02]، ومنفردتين في الكثير من المواضع، فقد تكرّر اسم الرّحمن في سورة الزّخرف لوحدها سبع مرّات(*)، في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[الزّخرف/17]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزّخرف/19] ، وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** ﴾ [الزّخرف/33]. وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾[الزّخرف/36]. وقوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾ [الزّخرف /45]. وقوله جلّ وعلا: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** ﴾ [الزّخرف/81]. فقد لاحظ أبو موسى أنّ صفة الرّحمن جاءت« مقترنة في السّورة بأشنع ضلالاتهم لتبيان مزيد الغلو والإفراط في ضلالهم وأنهم كفروا بالرّحمن الذي يبيتون ويصبحون يتقلبون في نعمائه، وليس أخس ولا أشنع من كفر من بات المرء في نعمائه يتقلب»(19)، وليس ذلك فقط، فإنّ ضلالات القوم كنسبة الإناث إلى الله، وجعل الملائكة إناثا، والعشو والإعراض عن ذكره، والإشراك بالله وادّعاء الولد... كلّها ضلالات تستوجب العقاب والنّكال، ولكنّ الله اختار في هذه المواطن أن يقابل جحودهم وكفرهم باسمه

الجليل الرّحمن، لمزيد من التّوبيخ والتّبكيت لهؤلاء القوم الذين أخطأوا في جناب من صفة الرّحمة هي من أخصّ صفاته، فمقابلة كل ذلك باسم الرّحمن هو من قبيل العقاب والعذاب المعنوي المضاعف حين يعود هؤلاء إلى أنفسهم. ثم إنّ اسم الرّحمن في هذه المواضع هو دعوة وترغيب لهم للإقبال على الرّحمن الذي يفتح أبواب رحمته لكلّ أوّاب –والله أعلم–. أمّا اسم الرّحيم فقد جاء في ثلاثة مواضع مقرونا باسم الغفور كما في قوله جلّ اسمه ﴿ **نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ** ﴾ [فصّلت/32]. وفي قوله تعالى:﴿ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[الشّورى/05]. وقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الأحقاف/08]. كما ورد مقرونا باسمه العزيز في قوله تعالى:﴿**إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾[الدّخان/42]. ومعنى اسم الرّحمن كما قال ابن عطيّة (ت 546 هـ): «والرّحمن صفة مبالغة من الرّحمة ومعناها أنّه انتهى إلى غاية الرّحمة كما يدلّ على الانتهاء سكران وغضبان، وهي صفة تختصّ بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل لأنّ راحمًا تقال لمن رحم ولو مرّة واحدة، ورحيما تقال لمن كثر منه ذلك، والرّحمن النّهاية في الرّحمة»[20]. إلى جانب استعمال كلمة الرّحمة في اثني عشرة موضعا، والفعل رحم في موضع واحد. وعلى الرّغم من أنّ آل حم مكيّات، ومعروف عن القرآن المكّي أنّ من خصائصه قوّة الأسلوب وشدّة الخطاب بما فيه من النّذر القارعة والعبارات الرّادعة التي تتناسب وعنجهيّة أهل مكة، وحميتهم وجاهليتهم[21]، إلاّ أنّنا ألفينا الرّحمة تسري في عروق آل حم وتتخلّل مفاصلها بما يجعل منها كما وصفها الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–«**روضات مخصبات متجاورات** »[22] يشعر المرء في رحابها بالأمن والسّكينة. ومن الأسماء الحسنى التي تكرّرت أيضا بكثرة في ذوات حم اسم الحكيم في ثمانيّة مواضع مضافا تارة إلى اسم العزيز في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[غافر/08]. وقوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الشّورى/03].وقوله تعالى في

مطلع الجاثيّة: ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الجاثيّة/02]، وفي خاتمتها: ﴿ **وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الجاثيّة/37]. ومطلع الأحقاف قوله جلّ شأنه: ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الأحقاف /02]. والعزيز الحكيم؛ هو «العزيز في انتقامه بأعدائه، حكيم في تدبيره خلقه»[23]. وتارة أخرى يأتي اسم الحكيم مقرونا إلى اسمه العليّ في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الشّورى/51]؛ أي «ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه واقتدار، يقول ذو حكمة في تدبير خلقه»[24]. ومضافا إليه اسمه العليم في قوله تعالى:﴿**وَهُوَ الذي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزّخرف/84] «وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم»[25]. ومضافا إليه اسمه الحميد في قوله تعالى: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصّلت/42]؛ أي «هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم. ﴿ **حَمِيدٍ** ﴾ يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم»[26]. وعن معنى اسم الحكيم يقول البقاعي (ت 885 هـ): «الذي يضع ما يصنعه في أتقن محاله، فلأجل ذلك لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه، ولا نقض ما أحكمه»[27]. وبعد فهل نستطيع القول: إنّ (حم) تعني الحكمة المودع سرّها في اسم الله الحكيم، والرّحمة المستخلصة من فيض اسم الرّحمن الرّحيم، وأنّ آل حم هي تجسيد لتلك الحكمة التي كانت وراء خلق الخَلق، وإبداع وإتقان الصّنع، وإنزال الكتب وإرسال الرّسل، وإحقاق الحقّ، وخلق الجنّة والنّار... إلخ؛ أي الحكمة «في جميع أحواله وأفعاله»[28]. وأنّ آل حم هي أيضا تجسيد للرّحمة التي تظهر آثارها في التّفضّل على عباده مؤمنهم وكافرهم، ضعيفهم وقويّهم، في سنّ الشّرائع، في قبول توبة العاصي وغفران ذنب المذنب، في إمهال الكافر الضّال، وفي مؤاخذته بذنبه إذا حقّت عليه كلمة العذاب، في الإحسان إلى عباده المؤمنين بجزيل العطايا والكرامات...إلخ الحواميم هي كل ذلك وأكثر من ذلك، ولا يستطيع أحد أن يحيط بما أودعه الله فيها من أسرار الحكمة والرّحمة اللتين هما جناحا ذوات حم السّبع تحلّق بهما في فضاءات الألوهيّة والرّبوبيّة. وإذا ما عدنا إلى تأثير حرفي الافتتاح (الحاء) و(الميم) في معاني

الحواميم وجعلها آلا ورحما تنجذب كلّها نحو أرومة واحدة هي (حم) كما يمثلها هذا الرّسم:

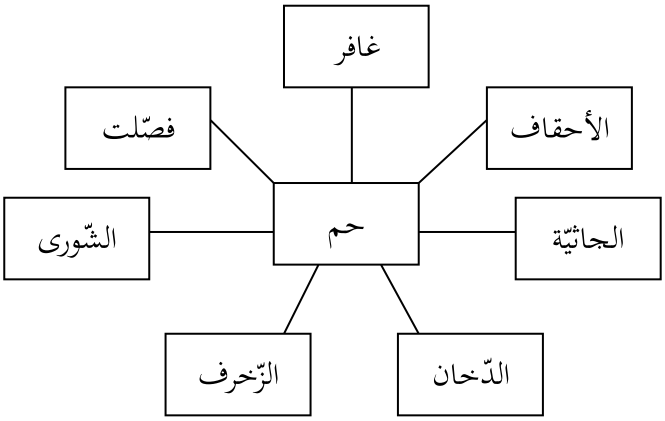

وجدنا أنّ الخطاب المهيمن في السّور السّبع خطاب -كما ذكرنا-يتجاذبه الهمس والجهر.

-في خطاب المولى عزّ وجلّ لعباده المؤمن منهم والضّال.

-في البداية الآسرة لسورة غافر، وهو يعرّف بنفسه العليّة بأنّه:﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [غافر/03]، وكما قال ابن عاشور: «فوصف "غافر الذّنب وقابل التّوب" تعريض بالتّرغيب، وصفتا "شديد العقاب ذي الطّول" تعريض بالتّرهيب»[29]. في قوله تعالى:﴿**اللَّهُ الذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ .ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الذينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [غافر/61-64]. في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[الشّورى/ 25]. إلى غير ذلك من آيات الإنعام التي تهمس في أذن السّامع بأجلّ الكلمات، وبأروع أسلوب حقيقة ألوهيّة المولى عزّ وجلّ، وربوبيته الموجبة لعبادته. كذلك في افتتاحيّة فصّلت التي جعلت السّورة بأكملها تسبح في فيوضات الرّحمة بتأثير صفتي الرّحمن الرّحيم، أو كما قال

محمّد أبو موسى: «... فإنّنا نستطيع أن نرجع بكلّ ما في سورة فصّلت إلى غور هاتين الكلمتين الرّحمن الرّحيم»[30]، «فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتّان على كمال الرّحمة»[31]. في تسبيح الملائكة ودعائهم، وهم يرفعون أكفّ الضّراعة، استغفارا لمن في الأرض: ﴿**الذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[غافر/07–09]. في خطاب الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–لكفّار قريش وهو يلقّن من العليّ الحكيم ما يردّ به على ضلالاتهم: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**﴾[فصّلت/06].

وقوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [الشّورى/ 23].

وفي قوله تعالى: ﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[الزّخرف / 89].

وقوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [الجاثيّة/14]. وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الأحقاف/ 04]. وفي قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ** ﴾ [الأحقاف/ 08]. فهذه الآيات وغيرها كثير في آل حم تعرض لنا أنموذجا من الحوار الهادئ الرّاقي الذي يهدف إلى إيقاظ العقل من غفلته، وانتشال النّفس من غيّها للاهتداء إلى الفطرة السّليمة والعودة إلى خالقها، على الرّغم من أنّها تناقش قضايا في منتهى الخطورة كقضيّة التّوحيد والإيمان بالرّسل واليوم الآخر، وعلى الرّغم من ضراوة الاحتجاج والامتناع والعداء، لكن دونما صخب ودونما لجاج. وتلك عادة الرّسل مع أقوامهم دافعهم الخوف عليهم كما قال هود عليه السّلام لقومه: ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**

﴾[الأحقاف/21]. كما يظهر الهمس أيضا في موعظة مؤمن فرعون التي يتكرّر فيها النّداء "يا قوم" ستّ مرّات إيذانا منه بانتمائه إليهم وخوفه وإشفاقه عليهم. في تخافت الجنّ في فصّلت، وهم يتهامسون ويتداعون للإنصات إلى ما يتلوه محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–من الآي الحكيم، فيؤمنوا وتخبت قلوبهم وينقلبوا إلى قومهم دعاة مبشّرين ومنذرين. كما يتجلّى الهمس أيضا في أعظم صوره في لوحات النّعيم والحبور التي تعرضها آل حاميم عن أصحاب الجنّة بما تطيب به نفس المؤمن، ويسلو فؤاده من وعثاء الدّنيا وكدرها. وإذا انتقلنا إلى الجهر فإنّنا نجد صوره تتبدى في التّلويح بالقوّة، والبطش، والبأس تلويحا ليس القصد منه إلا التّخويف والرّدع للانتهاء: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ**﴾ [غافر/18]، ﴿ **لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾ [غافر / 15]، ﴿**فَلَنُنَبِّئَنَّ الذين كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾[فصّلت/ 50]. وقوله تعالى: ﴿**وَالذين يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ [الشّورى / 16]. وقوله تعالى:﴿**فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ . أَوْ نُرِيَنَّكَ الذي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ** ﴾[الزّخرف / 41–42]. وقوله تعالى: ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾ [الزّخرف / 79]. وقوله تعالى: ﴿**هَذَا هُدًى وَالذينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ [الجاثيّة / 11]. وفي قوله تعالى: ﴿**بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [الأحقاف / 35]. إلى آخره من الآيات التي حملت إلى مشركي قريش الإنذار، والتّهديد دون أن يقع عليهم إلاّ من حقّت عليه كلمة العذاب سواء في الدّنيا أم يوم القيامة، فلم تهلك قريش كما أهلك المكذّبون قبلها، ولم تستأصل كما استئصلت الأقوام السّابقة[32]؛ قوم نوح وثمود وعاد، والمؤتفكات، وفرعون وجنوده، وغيرهم ممّن أصبحوا مثلا وعبرة إلى يوم القيامة. وإنّما اكتفى القرآن الكريم فقط بقرع أسماع كفار قريش، وخلع قلوبهم بذكر أنواع العذاب والانتقام علّهم يرجعون، فمنهم من قضى كعتاة الكفار كأبي جهل، وأبي لهب... إلخ، ومنهم من ثاب واستسلم كأبي سفيان، وعمرو بن العاص... وهنا تتجلّى الرّحمة والحكمة التي تتوافق والرّسالة الخاتمة والأمّة الخاتمة. وقد تحقّقت شدّة الأخذ والبأس بالنّسبة للأقوام السّابقة ممّن حقّت عليهم كلمة العذاب، ولذلك وجدنا خطاب الشّدّة والغضب يأتي ملازما للحديث عن سوء عاقبة المكذّبين: يقول تعالى:﴿ **فَأَخَذْتُهُمْ**

فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر/ 05]. وقوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ**﴾ [غافر/21]. وقوله تعالى: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ [غافر/ 45]. وقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الذي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ. وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [فصّلت/ 13–17].وقوله تعالى: ﴿**فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [الزّخرف/25]. وقوله تعالى:﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الأحقاف/24–25].

ويشتدّ الخطاب أكثر فأكثر حينما يتمّ عرض مشاهد من أهوال يوم القيامة مثلما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ . قَالَ الذينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴾ [غافر/47–48]. وقوله تعالى: ﴿ **الذينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴾ [غافر/70–72]. وفي قوله تعالى: {**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [فصّلت/19–20]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴾ [الزّخرف/74–75]. وقوله تعالى:﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ** ﴾[الدّخان/ 43–44]. وقوله كذلك: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ** ﴾ [الأحقاف/20]. بل إنّنا وجدنا هيمنة مطلقة لحرف الميم بما يحمل «من صفات الشّدة والغلظة والضّخامة والقطع والكسر»[33]، في سورة الدّخان التي تعتبر من أشدّ

الحواميم تقريعا وغضبا ويظهر ذلك خصوصا في فواصلها مثل: منذرين، منتقمون، مجرمون، متّبعون، منظرين، المسرفين، منشرين الزّقوم، الأثيم، الجحيم، الحميم، مرتقبون... إلخ. يقول سيد قطب: «يشبه إيقاع هذه السّورة المكيّة، بفواصلها القصيرة، وقافيتها المتقاربة، وصورها العنيفة، وظلالها الموحيّة... يشبه أن يكون إيقاعها مطارق على أوتار القلب البشري»[34]، فهذه الشّواهد وغيرها تدعم ما انطلقنا منه وهو تأثير حرفي الافتتاح (الحاء والميم) في السّور السّبع مضمونا وأسلوبا، فكانت الحواميم تتأرجح بين الشّدة واللين، والانتقام والعفو والتّرهيب والتّرغيب وغيرها من الثّنائيات الضّديّة التي هي سمة بارزة في الخطاب القرآني. ولا يسعنا إلاّ أن نختتم مبحثنا بهذه الملاحظة الدّقيقة، وهي أنّ الجمع بين الحاء والميم بخصائصهما وصفاتهما هو في ذاته مشاكل لأسلوب يطّرد في القرآن الكريم كثيرا وهو إتّباع صور العذاب بالرّحمة؛ أي أن يشفع آية التّرهيب بالتّرغيب[35]، فتأتي آيات العذاب مسبوقة بآيات الرّحمة أو مشفوعة بها، وهي عادة قرآنيّة تؤكد حقيقة أن القرآن الكريم بشير ونذير. وكذلك «أنّ آيات العذاب التي تصف أشدّ أحوال العذاب هي من أعظم آيات الرّحمة، لأنّ المراد بتصويرها قبل وقوعها ردع النّفوس عن الباطل حتى لا تسقط فيه...»[36]. وسواء كان الإنذار أم كانت البشارة فمنتهى الأمر أنّ يؤوب الإنسان لربّه ويستسلم للرّحمن الحكيم. ذلك لأنّ غاية القرآن هي أن يجلو صدأ القلوب فتنجذب إلى خالقها، وتنفتح النّفوس لاستقبال نور ربّها، فكانت (حم) إذن هي جماع الرّحمة الواسعة، والحكمة البالغة التي تقبع خلف كل حرف وكل كلمة وكل آية متلوة أو مشاهدة، وخلف كل جليل ودقيق في هذه الحياة الدّنيا وفي الآخرة. وذلك هو سر (حم) فهي وغيرها من الفواتح «حروف مقطعة، صحيح أنّها ليس لها دلالة ولكن سرّها البياني المعجز يتجلى حين تأخذ مكانها في القرآن الكريم... وذاك هو سر الحرف، وما أعجب سره»[37].

2.1-الكتاب: ولاستكمال قراءة عناصر الخطاب المقدّماتي في سور الحواميم ننتقل إلى العنصر الثّابت والقار بعد حروف التّهجي؛ وهو الكتاب كما تفصح عنه الحواميم ومثيلاتها من السّور. اطّرد ذكر الكتاب العزيز في السّور المفتتحة بالحروف المقطّعة عقبها مباشرة ما عدا سورة القلم ومريم والرّوم والعنكبوت. وقد وجّه العلماء

هذا التّلازم بين الحروف المقطّعة والكتاب المحكم إلى أنّ المراد منه هو التّنبيه على معجزة هذا الكتاب المنزّل على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وعلى علوّ شأنه، فهي تقرّر حقيقة أنّه -الكتاب-من عند الله عزّ وجلّ، وتشهد على صدق نبوّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-علما بأنّ معظم السّور المفتتحة بحروف التّهجّي مكيّة ما عدا البقرة وآل عمران، ممّا يعني أنّ التّحدّي والجدال والتّعنّت كان على أشدّه من قبل مشركي قريش، فالافتتاح بالحروف المقطعة إذن هو علامة على اشتداد الخصومة واللجاج لأنّ «أكثر السّور المبدوءة بالفواتح، نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسّحر والشّعر والكهانة، فواجههم القرآن بالتّحدي، وعاجزهم مجتمعين، ومن ظاهرهم من الجن»[38]. ولذلك نجد «أن قصد التّحدي في القرآن النّازل بمكّة قصد أولي»[39]. فكانت هذه الحروف الفواتح، وكان اقتران الكتاب العزيز بها هو من جهة بمثابة قرع العصا، وتهييج النّظر، وتحفيز الهمم لتلقّي هذه المعجزة الخالدّة التي تقف على مرّ الأزمان وتطاول الأيّام حجّة على الإعجاز والعجز معًا (عجز المشركين)، «..لأنّ ذكر الكتاب يعني ذكر الحجّة والاقتران بين ذكر هذه الحروف وذكر الحجّة يؤكّد أنّ لها مدخلا في الحجّة، والحجّة قائمة بالكتاب إلى أن تقوم السّاعة، والعجز عنه على طول الزّمان كلّه كالعجز عنه يوم نزل»[40]. ومن جهة أخرى هو انتصار للقرآن، ودليل إعجازه. كما تقرّر عند العلماء، يقول ابن كثير (ت 774 هـ): «إنّما ذكرت هذه الحروف في أوائل السّور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأنّ الخلق عاجزون عن معارضته بمحلّه، هذا مع أنّه مركّب من هذه الحروف المقطّعة التي يتخاطبون بها... ولهذا كلّ سورة افتتحت بالحروف فلا بدّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة»[41]. وتماثل افتتاحيات هذه السّور في الابتداء بالحروف المقطّعة، وما يليها من حديث عن القرآن وغيره هو مؤذن بتشاكل هذه السّور وتشابهها ليس فقط في مطالعها، بل وحتى في مفاصلها ومقاطعها ومواضيعها. وهذا ما سنبحثّ عنه في الحواميم التي تعود سبعتها إلى حرفي الافتتاح "الحاء" و"الميم". فقد افتتحت سورة غافر بقوله تعالى: ﴿حم. **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [غافر/01-02].

وسورة فصّلت بقوله تعالى: ﴿**حم . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [فصّلت/01–03]. وافتتحت سورة الشّورى بقوله عزّ وجلّ: ﴿ **حم عسق كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[الشّورى/01–03]. وسورة الزّخرف بقوله تقدّس اسمه: ﴿ **حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الزّخرف/01–04]. وسورة الدّخان، قال تعالى: ﴿ **حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِي أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين. رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الدّخان/01–06]. وقدّمت سورة الجاثيّة بقوله تعالى: ﴿**حم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الجاثيّة /01–02]. وسورة الأحقاف بقوله تعالى: ﴿**حم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الأحقاف /01–02]. فالكتاب–كما هو ملاحظ–هو النّواة الدّلاليّة التي يتوارد ذكرها في السّور السّبع بعد حرفي الاستهلال كما يوضّحه هذا الرّسم:

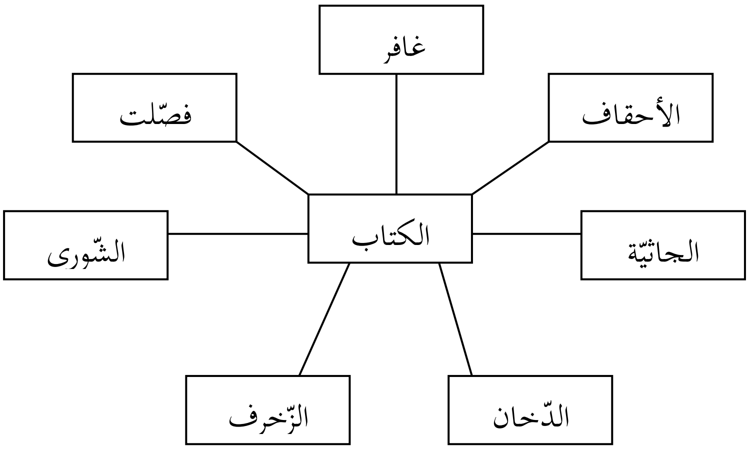

ولهذا التّوارد دلالتّه ومقصديته كما بيّن العلماء –وقد مرّ معنا–فآل حاميم كما تقول عائشة عبد الرّحمن: «فيها جميعا احتجاج للقرآن ردا على جدل المكذبين، فهي تستهل بعد الأحرف المقطّعة، بتقرير تنزيله من العزيز الحكيم، كتابا عربيًّا مبيّنًا فصّلت آياته لقوم يعلمون، وتنذر من جادلوا فيه بالباطل، بمثل ما حاق بالذين كذّبوا من قبلهم بآيات الله وجادلوا فيها فأخذهم، وتردّ عن المصطفى –صلّى الله عليه وسلّم–تهمة الافتراء ودعوى السّحر، فما كان عليه الصّلاة والسّلام بدعا من الرّسل

وإنما يتبع ما يوحى إليه»[42]. ولذلك فإنّ ذكر الكتاب /اللازمة بعد الحروف المقطّعة مباشرة هو توجيه للمتلقي إلى القيمة الاعتباريّة لهذا الكتاب، ولفت انتباهه إليه من خلال التّعريف به ووصفه. ومن ثمّة الدّعوة لأخذه بقوة.

1.2.1-أسماء الكتاب: (الكتاب/ القرآن): نلاحظ بداية أنّه لم يرد في فواتح آل حم، ولا في باقي السّور المفتتحة بالحروف المقطّعة من أسماء القرآن التي أحصاها العلماء، والتي بلغ عددها خمسة وخمسين اسما كما قال الرّاغب (ت502هـ): «اعلم أنّ الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما»[43]، سوى اسمين هما القرآن والكتاب، فلا نجد في افتتاحيات هذه السّور مثلا اسم الذّكر أو الفرقان، أو النّور أو الرّوح أو غيرها من الأسماء الأخرى، ولعلّ السّرّ ينكشف بعد أن نبيّن معنى الاسمين. إذا عدنا إلى افتتاحيات سور الحواميم وجدنا خمسا منها اشتركت في استعمال اسم الكتاب، هذه السّور هي (غافر، فصّلت، الدّخان، الجاثيّة، الأحقاف)، فيما لم يرد اسم القرآن إلاّ في موضعين فقط الأوّل: في سورة الشّورى التي تحدّثت عن الوحي، ثمّ بعد ستّ آيات جاء تعيين أو تحديد هذا الوحي بأنّه قرآن عربي.

وسورة الزّخرف التي أوردت الاسمين معًا: الكتاب والقرآن.

أ-الكتاب: هو «اسم لما كتب مجموعا»[(44)]، وذكر ابن فارس (ت395هـ) أن «الكاف والتّاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء»[45]. والكتاب: «مصدر كتب يكتب كتابة، وأصلها الجمع. وسميّت الكتابة لجمعها الحروف، فاشتقّ الكتاب لذلك لأنّه يجمع أنواعا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة..»[46]. كما أنّه: «اسم جامع لكتب الله المنزّلة على رسله[47]؛ فقد سمى الله عزّ وجلّ ما أنزل على موسى عليه السّلام باسم الكتاب، في قوله:﴿**وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً** ﴾[الأحقاف /12]، وقوله:﴿ **وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة/53]. وقوله تعالى:﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ [البقرة/113]، وسمى الله تعالى اليهود والنّصارى أهل الكتاب ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا**﴾ [المائدة/19].«وحيثما ذكر الله تعالى أهل الكتاب فإنّما أراد التّوراة والإنجيل وإيّاهما جميعا»[48]،إلى غير ذلك من الآيات. والكتاب اسم للقرآن كما

تدل عليه العديد من الآيات كقوله تعالى:﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾[غافر/02]، وقوله تعالى:﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأحقاف/12]،وإنّما سمي القرآن «كتابا لأنّه جمع فيه علوم الأولين والآخرين»[49].ويذهب أبو موسى إلى أنّ كلمة كتاب تنطوي على دلالتين: «الأولى دلالة الهيئة فهي دلالة التّعريف الدّال على الكمال في معنى الكتاب وأنّه موصوف بكلّ الكمالات التي يوصف بها الكتاب، وأنّ هذا المعنى يتمثّل في أعلى صوره وأحواله وأنّ لفظ الكتاب إذا أطلق لا ينصرف إلاّ إليه. وأمّا دلالة المادة فهو أنّ هذه الأمّة تصونه بالكتابة حتى لا يدخل فيه ويغيّر، وحتى يكون بهذه الكتابة قريبا منّا نتلوه ونتدبّره ويكون في أيدي صغارها وكبارها»[50].هذا عن دلالة كلمة الكتاب، أما عن سر التّصدير بها بدلا من القرآن فهو -كما تبين لنا والله أعلم- من قبيل مخاطبة النّاس بما هو معلوم لديهم ومتداول بينهم من إطلاق تسميّة الكتاب على الكتب المنزّلة قبل القرآن الكريم بدليل قول الكفّار في قوله تعالى:﴿**أَو يَكونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ أَو تَرقى فِي السَّماءِ وَلَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّى تُنَزِّلَ عَلَينا كِتابًا نَقرَؤُهُ**﴾ [الإسراء/93]. وقول الجنّ في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأحقاف/30].

ب-القرآن: اختلف العلماء في تأويل لفظة القرآن، فالبعض يرى بأنّه مصدر مأخوذ من الفعل قرأ بمعنى جمع، يقال قرأت الشّيء قرآنا أي جمعته وضممته بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه النّاقة سلى قط؛ أي لم يضمم رحمها جنينا قط[51]. ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته. أو أنّه مأخوذ من الفعل قرن بغيرهمز وقرنت الشّيء بالشّيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسميّ به لقران السّور والآيات والحروف فيه..[52]وقال الرّاغب (ت502هـ): «وإنّما سميّ قرآنا لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرات الكتب السّالفة المنزّلة»[53]. وقد أنكر البعض أن يكون القرآن وقرأ بمعنى جمع، لقوله تعالى:﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾فغاير بينهما، وإنّما مادته (قرأ) بمعنى أظهر وبيّن[54]، «وعن ابن عباس في قوله:﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾، يقول بيناه،﴿ **فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾، يقول: اعمل به. ومعنى قول ابن عباس هذا:

فإذا بيناه بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة»[55]. فيما يرى البعض الآخر، بأنّ القرآن: «اسم علم غير مشتق، خاصّ بكتاب الله»[56]. وقد روي عن الشّافعي أنّه كان يقول: «القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنّه اسم لكتاب الله مثل التّوراة والإنجيل»[57]. فالقرآن هو اسم اختص به الوحي المنزل على سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-. ومن ثمة فإن لفظة «القرآن كعنوان مركزي لكتاب الوحي في الإسلام ينهض بوظيفتين أساسيتين:

أ -تحديديّة تميّز كتاب الله عن كتب البشر، وكتاب الوحي في الإسلام عن كتب الوحي في الدّيانات السّماويّة الأخرى كالتّوراة والإنجيل.

ب-وصفيّة تستفيد من الاقترانات الدّلاليّة، خاصّة ما يتصل منها بمعاني الجمع والضّم والاقتران»[58]. واللافت للانتباه أنّ الكتاب والقرآن كلاهما يشتركان في دلالة الجمع والضّم وربّما لذلك قرن بينهما في العديد من المناسبات. والأهم من ذلك ما ذكره عبد الله دراز وهو أنّه «روعي في تسميته قرآنا لأنّه متلو بالالسّن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التّسميتين من تسميّة شيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنّ من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنّه يجب في الصّدور وفي السّطور جميعا»[59]. وهذه الصّفات لا نجدها في أسمائه الأخرى الذّكر والفرقان...إلخ. وبهذا ينكشف سرّ إيثار اسمي الكتاب والقرآن في حديث القرآن عن نفسه بعد الحروف المقطّعة، حيث جمع في افتتاحيات الحواميم بين المؤتلف والمختلف، فالقرآن يتماهى مع الكتب الأخرى في تسميته باسم الكتاب، وهذا فيه تبيان بوحدة المصدر للكتب السّماويّة كلّها بما فيها القرآن الكريم؛ أي أنّه ليس بدعا. وينماز عنها في الوقت نفسه بتسميته "قرآنا"، وفي ذلك إشارة إلى اختلافه وتميزه عنها بوصفه الكتاب الجامع المصدق الخاتم.

2.2.1-ماهيّة الكتاب: وعناية بهذا الكتاب وكل شؤونه سلّطت افتتاحيّات آل حم الضّوء على ماهيته وكيفيّة وصوله إلى المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم-، وذلك مظهر آخر من مظاهر تشاكل افتتاحيات الحواميم؛ حيث تشترك سور أربع في المصدر "تنزيل" وهي: غافر، فصلّت، الجاثيّة، الأحقاف. بينما تنفرد سورة الدّخان بالفعل "أنزلناه"، وسورة الشّورى بالفعل "يوحي"، فيما انفردت سورة الزّخرف بالفعل

"جعلناه".وعلى الرّغم من المغايرة في الكلمة المستعملة في السّورتين الأخيرتين الشّورى (يوحي)، والزّخرف (جعل) فيما بينهما، وأيضا بين السّور الأربع إلاّ أنّها مع ذلك تقرّر كلّها حقيقة واحدة؛ وهي أنّ القرآن الكريم من عند (الله)، «وهذه الكلمات قريبة في معناها بعضها أقرب من بعض، فأنزلناه أقرب إلى جعلناه، ويوحي إليك متفرّد في الدّلالة على الوحي، وهو أخصّ من التّنزيل والجعل من وجه أعم»[60]، بل إن معنى نزّل أي جعله ينزل[(61)]، وسنوضّح ذلك في موضعه من البحث.

يتلخّص حديث القرآن عن القرآن في آل حم في التّعريف به ووصفه، لأجل ذلك كانت افتتاحياتها افتتاحيات حسم وقطع كلّ جدال، فلا نجد فيها ما نجده في متونها من المحاجة والأخذ والرّد، وذلك أنّها فصلت في حقيقته منذ البداية؛ فالكتاب الذي يتلوه محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–على مسامع قريش، والذي هو محلّ جدالهم: هو تنزيل وإنزال وجعل ووحي تلقّاه من لدن حكيم عليم. فآل حم تضع بين أيدينا حقائق ثلاث تتعلق بالقرآن الكريم هي أنّه:

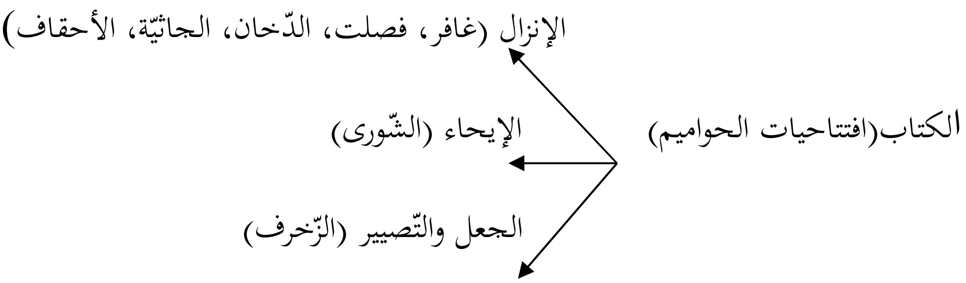

ا – **التّنزيل:** مصدر من الفعل نزل، ومعناه انحطاط الشّيء من علوّ[62]، والتّنزيل هو «ترتيب الشّيء ووضعه منزله»[63]. والتّنزيل «من التّنزل أي نزل، ويقال نزل في تمهل وتدرج»[64]. والقرآن تنزيل لأنّه نزل به الرّوح الأمين على قلب الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم مرتّبا بحسب ما تستدعي إليه الحاجات والمصالح، يقول الرّازي (ت606هـ): «لأنّ الشّأن العظيم إنزاله على سبيل التّنجيم للتقريب في فهمه وإيقاع كلّ شيء في أحسن أوقاته من غير عجلة ولا توان»[65]. ويقول البقاعي (ت885هـ): «تنزيل... أي بإنزاله بالتّدريج على حسب المصالح والتّقريب للأفهام الجامدة القاصرة»[66].والتّنزيل من الفعل "نزّل" والتّضعيف يفيد التّكرار كما يفيد التّكثير يقول صاحب المِلاك في تفسير اية آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾، «إنّ لفظ (نزّل) يقتضي التّكرار لأجل التّضعيف. تقول: (ضرب) مخففا لمن وقع منه ذلك مرّة واحدة، ويحتمل الزّيادة والتّقليل أنسب وأقوى، أمّا إذا قلنا (ضرّب) بتشديد الرّاء، فلا يقال إلاّ لمن كثر ذلك منه، فقوله تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ يشير إلى تفصيل المنزّل وتنجيمه بحسب الدّواعي، وأنّه لم ينزل دفعة واحدة... فنزل مقسّطا من لدن ابتداء الوحي»[67].

وقد يكون المراد من التّنزيل المبالغة، كما قال ابن عاشور: «والمراد أنّه منزّل فالمصدر بمعنى المفعول كقوله: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الْأَمِينُ** ﴾ وهو مبالغة في كونه فعل الله تنزيله، تحقيقًا لكونه موحى به وليس منقولا من صحف الأوّلين»[68].ومعنى آخر ذكره الغرناطي (ت708هـ) وهو أنّ كلمة "تنزيل" يؤتى بها في مقام التّأكيد، كما في قوله تعالى:﴿ **وَقالوا لَولا نُزِّلَ عَلَيهِ ايةٌ مِن رَبِّهِ**﴾[الأنعام/37] قال: «... وأتوا بالفعل مضعفا لما أرادوه من التّأكيد»[69]. وعليه، فكلمة "تنزيل" تفيد كلّ هذه الحمولة المعنويّة من التّنجيم، والتّكثير إلى المبالغة والتّأكيد، ومعان أخرى يستشفها أبو موسى في قوله: «ووصف الكتاب بأنّه تنزيل يعني المبالغة في هذا المعنى كما تقول: فلان عدل وصوم، تريد عادلا وصائما، والمصدر هنا اسم المفعول، وقد كثر وصف الكتاب العزيز بأنّه تنزيل ولهذا الوصف معان منها أنّه كلام الله القديم وأنّه نزل من الكتاب المكنون وفي اللّوح المحفوظ، وأنّ جبريل عليه السّلام كان يحفظ الآيات من الكتاب المكنون، ثمّ ينزل بها على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، ومنها الدّلالة على النّبوّة لأنّ الكتاب لا ينزل من اللّوح المحفوظ إلاّ على نبيّ، ومنها أنّ في هذا التّنزيل حجّة النّبوة لأنّ النّبوّة لابدّ لها من برهان وبرهان نبوّته -صلّى الله عليه وسلّم-كتابه، ولابدّ أن يكون البرهان معجزا لأنّه لا يكون برهانا إلاّ بإعجازه. وبذلك تدلّ كلمة التّنزيل على الإعجاز»[70] إلى غير ذلك من كلام العلماء في معنى التّنزيل التي تقاسمتها غافر وفصّلت والجاثيّة والأحقاف. وربما كان هذا وراء تكرارها، مع ملاحظة أنّ وحدة الكلمة بين هذه السّور الأربع لا ينفي المغايرة بينها في بقيّة التّركيب وذلك تمشّيا مع مقصود كلّ سورة ومضمونها. وخلافا للمصدر "تنزيل" نجد الفعل "أنزل" في سورة الدّخان في قوله تعالى:﴿**حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**﴾ [الدّخان/01-03]، فمن التّضعيف في (التّنزيل) إلى

التّخفيف في (أنزلناه) وهذا العدول يفيد حقيقة أخرى تتعلّق بالكتاب المبين وهي الإنزال جملة، فأنزل بمعنى «أنزله جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة إلى نبيّه محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–»[71]، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال: «نزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدّنيا، ثم كان جبريل عليه السّلام ينزل به بعد ذلك الأوّل فالأوّل إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–»[72]، إلى غير ذلك من الرّوايات. ويقول الرّاغب (ت502هـ): «والفرق بيّن بين الإنزال والتّنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التّنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا ومرة بعد أخرى والإنزال عام»[73]. وإن كان من العلماء من قرّر أن لا فرق بين التّنزيل والإنزال، أو بين نزّل وأنزل كما قال أبو حيّان (ت754هـ) في تفسيره لآية آل عمران يقول: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ** ﴾ [آل عمران/03] ردًّا على الزّمخشري (ت538هـ) «وقد تقدّم الرّد على هذا القول، وأنّ التّعديّة بالتّضعيف لا تدلّ على التّكثير، ولا التّنجيم، وقد جاء في القرآن نزّل وأنزل، قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِليهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ**﴾ و﴿**هُوَ الذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ ويدلّ على أنّهما بمعنى واحد، قراءة من قرأ ما كان ممّن ينزّل مستعدّا بالتّخفيف، إلاّ ما استثني، فلو كان أحدهما يدلّ على التّنجيم والآخر يدلّ على النّزول دفعة واحدة لتناقض الأخبار وهو محال»[74]. إذن فقد بيّنت افتتاحيات السّور الخمس حقيقة نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا، ثم إنزاله منجما ومفرقا على حسب الحاجة وهذا المشهور.

ب–الإيحاء: أمّا قوله تعالى في سورة الشّورى:﴿**حم .عسق. كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾، «فكلمة الوحي تعني الإعلام في خفاء... وكذلك الإشارة والإيماء»[75]. وتعريف القرآن بأنّه وحي هو تبيان لكيفيّة وصوله إلى الموحى إليه وهو الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، وأيّا كانت الكيفيّة سواء عن طريق الإشارة أم الإيماء، أم القذف في القلب أم التّكليم من وراء حجاب أم إرسال الملك إلى غير ذلك من أنواع الوحي التي فصلّتها سورة الشّورى، ففي ذلك كلّه تمثل المعجزة، وعلوّ شأن الموحى به وقدسيته، وشرف الموحى إليه. كما أنّنا نجد أنّ ما في

كلمة الوحي من معنى الخفاء واللّطف يتوافق والإلغاز في الطّريقة التي يتمّ بها إنزال القرآن على النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، أو لمن أرسل إليهم وهذا إمعان في الإعجاز والتّعجيز. وإلغاز أيضا في وقت مجيئه وبذلك تبرئة الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-من أيّ حول له أو قوّة وهذه الأخيرة مشتركة بين الحقائق الثّلاث.

ج-الجعل: تضيف افتتاحيّة الزّخرف إلى ما سبق حقيقة أخرى تتعلّق بالقرآن الكريم، وهي أنّه جعله عربيّا، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ والمعنى: « بيّناه قرآنا عربيّا»[76] وجعل بمعنى سميناه ووصفناه عند القرطبي (ت671هـ)[77]. ويقول البقاعي (ت885هـ): «﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ**﴾؛ أي «صيّرناه ووضعناه وسميناه مطابقة لحاله بالتّعبير عن معانيه بما لنا من العظمة»[78]، والفعل جعل إذا تعدّى إلى مفعول واحد كان بمعنى خلق، كما في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ أي خلق الظّلمات والنّور، وأمّا إذا تعدّى إلى أكثر من مفعول واحد فيتحدّد المراد منه بحسب السّياق وعليه فإنّ جعل في الاية التي معنا بمعنى صيّره[79] أو سمّاه. والموجب في تخصيص هذه الاية بالفعل جعل دون أنزل أو تنزيل كأخواتها (غافر، فصّلت الدّخان، الجاثيّة والأحقاف) -والله أعلم-وهو أنّه لما تحدد في السّور الماضيات مصدر هذا الكتاب المنزّل على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وهو أنّه تنزيل ووحي من الله عزّ وجلّ جاءت الزّخرف لتضيف حقيقة ثالثّة لم تذكرها الافتتاحيات السّابقة عن الزّخرف والافتتاحيّات التّاليّة لها، ويتعلّق الأمر بعربيّة القرآن. وقد بحث الغرناطي (ت708هـ) في سرّ تخصيص سورة يوسف بالفعل (أنزلناه) في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلونَ** ﴾ [يوسف/02] وسورة الزّخرف بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزّخرف/03] على الرّغم من الاتّفاق التّام بين الآيتين يقول: «والجواب عنه -والله أعلم-أنّ آية يوسف لمّا كانت توطئة لذكر قصصه عليه السّلام، ولم تتضمن السّورة غير ذلك إلاّ ما أعقبت به في آخرها ممّا يعرف بعجيب ما تضمّنته ممّا كان غيبا عند قريش والعرب مستوفيا ما كان أهل الكتاب يظنّون أنّهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السّورة موفيّة من ذلك أتمّه ومعرفة من قصصه العجيب ومؤدّيّة أكمله وأعجبه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿**إِنّا أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا**

لَعَلَّكُم تَعقِلونَ ﴾ ليعلم العرب وأهل الكتاب أنّ ذلك منزّل من عند الله لموافقته ما عند أهل الكتاب، ولقطع العرب والجميع أنّ نبيّنا محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–لم يتلقّ ذلك القصص من أحد من العرب. وأمّا اية الزّخرف فلم تبن على أخبار بل أعقبت بآي الاعتبار والتّلطّف في التّشبيه والتّذكار قال تعالى: ﴿ **أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ** ﴾ وهذا أعظم تلطّف، وقال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴾ ثمّ مضت أكثر آي هذه السّورة على نحو هذا الاعتبار وما يناسبه... فالمراد بالآية جعل الكتاب معتبرا هدى ونورا ، والمنبّهون به والمفسّرون بآياته المخاطبون به مخلوقون تقدّمهم العدم، وإنّما صحّ خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم فصحّ بانتقال حالهم التّصيير، وجلّ عن التّغيير، والحدوث كلام الحكيم الخبير فكلامه قديم ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد، فقد وضع الجعل هنا ومسوغه، وأنّه لا يناسب هنا غير ذلك، ولا يناسب الآية الأخرى غير "أنزل"، فجاء كلّ على ما يجب والله أعلم»[80]. إذن فكلمة جعل استفزاز لهم للرجوع إلى أنفسهم والنّظر فيها اعتبارا واذكارا، ولذلك جاء حثّهم على إعمال العقل في قوله تعالى:﴿**لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾. وليس الفعل جعل هو المقصود، وإنّما ما جاء بعده، وهو عربيّة هذا الكتاب، فقد أقسم المولى عزّ وجلّ على عروبته للتنبيه على فضلها وتفضيلها على سائر اللغات و«المقصود بوصف الكتاب بأنّه عربي غرضان: أحدهما التّنويه بالقرآن، ومدحه بأنّه منسوج على منوال أفصح لغة، وثانيهما التّورك على المعاندين من العرب حين لم يتأثروا بمعانيه بأنّهم كمن يسمع كلاما بلغة غير لغته، وهذا تأكيد لما تضمنه الحرفان المقطعان المفتتحة بهما السّورة من معنى التّحدي بأنّ هذا كتاب بلغتكم وقد عجزتم عن الإتيان بمثله»[81].

ونلاحظ ممّا سبق أنّ استخدام القرآن الكريم للمصدر التّنزيل والفعل أنزل ويوحي وجعل هو تدرج في تقديم الحجّة؛ حيث بدأ:

– بتحديد المصدر لأنّ الإنزال أو التّنزيل (جملة أو تفصيلا) يعني أنّه من مصدر علوي؛

–وهو وحي أي الطّريقة التي بها يتم إنزاله. وفي كلمة وحي يعني جهل الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–نفسه مكان وزمان نزول الوحي عليه؛

–تحديد أهم صفة فيه وهي جعله عربيا؛ أي أنّ القرآن (من) الله أنزله (على) محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–(إليكم)، وقد جاء هذا التّرتيب موافقا لترتيب سور الحواميم. ومن تمام التّعريف بالكتاب العزيز جاء تخصيص المكان أو المصدر الذي منه جاء بداية، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الزّخرف/04] و«أمّ الكتاب» هو اللّوح المحفوظ لأنّه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب، منه تنقل وتستنسخ»[82]، وقال الآلوسي (ت1270هـ) هو: «العلم الأزلي»[83]، وفي هذا دلالة على جلال قدر الكتاب وتعظيم أمره، فهو مكين محفوظ من أن تطاله يد التّغيير أو التّحريف. وكذلك تكفّل مطلع سورة الدّخان بتحديد زمان نزوله من اللوح المحفوظ، يقول تقدّس اسمه: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** ﴾، جاء في البرهان: «لما تضمّنت سورة حم السّجدة وسورة الشّورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه ممّا لم تنطو سورة غافر على شيء منه وحصل من مجموع ذلك الإعلام بتنزيله من عند الله وتفصيله، وكونه قرآنا عربيا إلى ما ذكر تعالى من خصائصه إلى قوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ [الزّخرف/44] وتعلّق الكلام بعد هذا بعضه ببعض إلى آخر السّورة، افتتح تعالى سورة الدّخان بما يكمل ذلك الغرض وهو التّعريف بوقت إنزاله إلى سماء / الدّنيا فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**﴾ ثم ذكر من فضلها فقال: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ فحصل وصف الكتاب بخصائصه والتّعريف بوقت إنزاله إلى سماء الدّنيا وتقدم الأهم من ذلك في السّورتين قبل، وتأخر التّعريف بوقت إنزاله إلى سماء الدّنيا إذ ليس في التّأكيد كالمتقدم»[84].

فهي اللّيلة التي كانت الأرض فيها على موعد مع السّماء لتتلقّى من ربّها أنوار الهداية والرّشاد، ليلة وصفت بالبركة والخير فهي خير من ألف شهر، فيها أنزل القرآن، وفيها يتنزّل جبريل والملائكة ويغشى الكون السّلام حتّى مطلع الفجر، ليلة مباركة في ذاتها قبل نزول القرآن «فبركة اللّيلة التي أنزل فيها القرآن بركة قدّرها الله قبل نزول القرآن ليكون القرآن بابتداء نزوله فيها ملابسا لوقت مبارك فيزداد بذلك فضلا وشرفا، وهذا من المناسبات الإلهيّة الدّقيقة التي أنبأنا الله ببعضها»[85]. وعن خيريّة هذه الليلة وبركتها يقول الزّمخشري (ت 538 هـ): «﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ** ﴾ كأنّه قيل أنزلناه من شأننا الإنذار والتّحذير من العقاب، وكان إنزالنّا إيّاه في

هذه اللّيلة خصوصا لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه اللّيلة مفرق كلّ أمر حكيم، والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي تتعلّق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولو لم يوجد فيها إلاّ إنزال القرآن وحده لكفى به بركة»[86].

ممّا سبق نجد أنّ آل حم حدّدت لنا من خلال مطالعها هويّة هذا الكتاب ومكانته فهو من عند الله أوّلا، وهو مكنون في اللّوح المحفوظ وأنّه أنزل على محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–في الوقت الذي قدّره الله عزّ وجلّ (ليلة القدر)، وبالكيفيّة التي قرّرها سبحانه وتعالى (عن طريق الملك)، والمدة التي حددها أيضا، فكانت هذه الفواتح السّبع فواتح شاملة جامعة لكلّ ما يتعلّق بالكتاب العظيم من حيث التّعريف به، فهو قرآن عظيم، وهو تنزيل من أشرف مقام وأطهر محل (اللّوح المكنون) في ليلة هي الأرفع قدرا والأعظم أجرا بين كلّ اللّيالي، بلسان هو الأبين والأشرف بين كلّ لسان. وتخصيص الافتتاحيات السّبع للقرآن، وكل ما يتعلّق به هو إشارة إلى أنّ القرآن هو الموضوعة المركزيّة أو العمود الذي قامت عليه آل حم من خلال سرد جدال الكفار فيه وبالذّود عنه والانتصار له. ويمكننا أن نجمل مختلف الأفكار التي انطوت عليها مطالع الحواميم في نقاط ثلاث هي:

* تنزيه القرآن الكريم وتعظيمه؛
* تبرئة الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–من فريّة الافتراء على الله؛
* تشريف العربيّة به.

3.2.1–صفات الكتاب: تعدّدت صفات الكتاب العزيز في ثنايا المصحف الشّريف، فهو الرّوح والشّفاء والرّحمة والنّور والهدى والبصائر والحقّ والبشير والنّذير... إلخ وهي كلّها تتحرّك في فلك واحد؛ هو الإعلاء من شأن هذا الكتاب وإبراز دوره في إنقاذ البشريّة من الضّلال وسوقها إلى خالقها بأحسن عبارة وأبلغها وأجمل خطاب وأرقّه، وأروع صورة وأبدعها. وإذا عدنا إلى مطالع آل حم، والتي تعدّ احتفائيّة كبرى بهذا الكتاب وجدنا أنّها انطوت على صفات بعينها، ألّحت عليها. من ذلك قوله تعالى في مطلع سورة فصّلت: ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** ﴾ فصّلت/03–04]، فقد وصف الباري عزّ وجلّ كتابه المنزّل على نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم–بأنّه ﴿**فُصِّلَتْ**

آيَاتُهُ﴾، ومعنى ذلك أنّه جاء بيانا لكلّ صغيرة وكبيرة تهمّ النّاس لئلا يكون لهم على الله حجّة يوم القيامة، فقد فصّلت آياته في الحلال والحرام والوعد والوعيد، والثّواب والعقاب، فهو ليس كتاب إلغاز وتعميّة وإجمال يُشكل معه إدراك معانيه ومقاصده، ويتعذر الانتفاع بها، وإنّما كتاب هداية وإرشاد، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بالتّفصيل والتّمييز والبيان، وذلك من كمال فضائله. يقول الغرناطي (ت708هـ) في سبب اختصاص سورة فصّلت بهذا الاسم: «... تضمّنت هذه السّور العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره، وكبير الرّحمة ما لا يوجد في غيرها من أقرانها، كما أنّها في الفصاحة تبهر العقول لأوّل وهلة، فلا يكون للعربي الفصيح في شاهد برهانها أدنى توقّف، ولا يجول في وهمه إلى معارضة بعض آيها أدنى تشوف»[87]. ومن تمام قدر الكتاب أنّه جعله عربي اللّسان «وفي ذلك امتنان بسهولة قراءته وفهمه، لنزوله بلسان من نزل بين أظهرهم»[88]، وتتّضح الغاية أكثر من تفصيل آياته وتعريب لسانه في قوله تعالى: ﴿ **بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾«بشارته بالجنة لمن آمن ونذارته بالنّار لمن كفر»[89]، فيه سعادة الدّارين لمن امتثل أوامره، واجتنب نواهيه وفيه ضنك وشقاء الحياتين لمن طغى وتكبّر. وليس غريبا أن يزدحم مطلع سورة فصّلت بكلّ هذه الصّفات، وهي السّورة التي تولّت تفصيل القول في كلّ شيء بدءا بالكتاب الذي هو مفتاح الولوج إلى جوف كلّ السّور المفتتحة بالحروف المقطّعة، وانتهاء بالتّفصيل في الآيات الكونيّة الشّاهدة على عظمة الخالق. أمّا بالنّسبة لافتتاحيّة سورة الزّخرف، فقد وصف فيها الكتاب بأنّه "مبين، وعربي وعليّ حكيم"، يقول جلّ من قائل: ﴿ **حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الزّخرف/1–4].

فمن معاني المبين أي: «البيّن، الواضح الجليّ المعاني والألفاظ لأنّه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين النّاس»[90]، أو هو «المبين للذين أنزل عليهم لأنّه بلغتهم وأساليبهم، وقيل الواضح للمتدبّرين، وقيل المبين الذي أبان طريق الهدى من طريق الضّلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأمّة في أبواب الدّيانة»[91]، وقد وردت صفة الكتاب المبين في افتتاحيّة الدّخان التي اتّفقت وافتتاحيّة الزّخرف، يقول تعالى:﴿ **حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾ [الدّخان/01–02] وفي ذلك إشارة إلى أنّ إبانة هذا

الكتاب وجلائه سمة ثابتة خالصّة فيه، لأنّ الغاية منه الهداية، والدّلالة على الخالق عز وجل . يقول تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الزّخرف/03].

أمّا عن عروبته فقد تواترت هذه الصّفة في أحد عشر موضعا من القرآن[92]، منها خمس في آل حم: في سورة فصّلت الآية (03)، والآية (44) وسورة الشّورى الآية (07)، والزّخرف الآية (03)، والأحقاف الآية (12)، يضاف إلى ذلك آيات أخرى تُلمِّح إلى عربيّة القرآن دون التّصريح بها، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرسَلنا مِن رَسولٍ إِلّا بِلِسانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم** ﴾ [إبراهيم/04]. ويقول تعالى:﴿**فَإِنَّما يَسَّرناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَومًا لُدًّا**﴾ [مريم/97]. وفي قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[الدّخان/58]. والمقصود بعربيّة القرآن، بعيدا عن كونها لغة تختلف عن بقيّة اللّغات، وتتفوّق عليها –كما مرّ معنا من أقوال العلماء– بما نيط لها من أسباب الرّفعة والشّرف هو الإفهام "لعلّكم تعقلون"، "لعلّكم تتفكّرون"، واستفزاز للهمم للتفكّر والتّدبّر في هذا القرآن الذي يجادل في آياته ويستهزأ بها، والإلحاح على هذه الصّفة هو الزّام من نزل عليهم الحجّة، فهو بلسانهم وهم أدرى النّاس بأسرار لغتهم، ومع ذلك يصدّون عنه، وفي ذلك تعريض بهم وتعجيب من أمرهم. ونلاحظ أنّ المولى عزّ وجلّ قد ساق صفة عربيّة الكتاب في أسلوب القسم الذي جاء على غير سنن العرب؛ إذ جعل المقسم به هو عينه المقسم عليه، فقد أقسم بالكتاب المبين على عربيّة هذا الكتاب المبين، والعربيّة هي خاصيّة فيه، ولذلك كان هذا القسم كما قال الزّمخشري (ت538هـ): «من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من واد واحد، ونظيره قول أبي تمام: وثناياك إنّها إغريض»[93].   «فقد أقسم الشّاعر بثناياها على أنّها إغريض، والإغريض: الطّلع الأبيض الدّقيق الطّريّ الرّطب، وكأنّ الشّاعر لم يجد ما يناسب المقسم ليقسم به إلاّ القسم عليه، وفي هذا إعلاء لشأن المقسم عليه»[94]. ويقول ابن عاشور: «وهذا ضرب عزيز لأنّه يومئ إلى أنّ المقسم علا شأنه وبلغ غاية الشّرف، فإذا أراد المقسم أن يقسم على ثبوت شرف له، لم يجد ما هو أولى بالقسم به للتناسب بين القسم والمقسم عليه»[95]. أمّا كون الكتاب "عليّ حكيم"؛ أي «رفيع الشّأن بين الكتب لإعجازه واشتماله على عظيم الأسرار»[96]، وقيل: «المراد كونه عاليا على جميع الكتب بسبب

كونه معجزا باقيا على وجه الدّهر»[97]. وأمّا صفة الحكيم: فتعني البراءة من السّفه والضّلال والزّيغ، فهو «ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينتسخه غيره أو حاكم على غيره من الكتب»[98]، أو أنّه «... محكما في أبواب البلاغة والفصاحة، وقيل حكيم، أي ذو حكمة بالغة...»[99]. وتجمل افتتاحيّة الدّخان كلّ الأوصاف التي سبقت، وهي الإبانة، والحكمة وشرف التّزول، وفيها تخصّيص ليلة إنزاله، التي حازت جوامع الخير والبركة، والرّحمة إلى غير ذلك ممّا يعود الحديث فيه على الله سبحانه وتعالى، فما يصدر عنه -القرآن-هو عين الرّحمة والحكمة.

3 -الخالق عزّ وجلّ وصفاته (مصدر الكتاب): يلتفت الخطاب في مطالع آل حم مباشرة بعد الحديث عن الكتاب إلى الحديث عن الخالق عزّ وجلّ، وهو ما قد يوحي للوهلة الأولى أنّ الخطاب في هذه الافتتاحيات قسمة بين المرسِل (الله) والرّسالة (القرآن)، مع الإشارة إلى المرسَل(الرّسول -صلى الله عليه وسلم-) في مطلع الشّورى: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، ومطلع الدّخان: ﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾، والجاثيّة: ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ** ﴾. لكن التّأمل يسقط هذه القسمة ليتبيّن لنا مثلا أنّ افتتاحيّة سورة غافر لم تتحدث عن الكتاب وصفاته إلاّ ما كان من أمر اللازمة التي تقرن بين حروف الافتتاح والكتاب، حيث استهلّ الكلام بتحديد صفات الله عزّ وجلّ، فهو غافر الذّنب وقابل التّوب...إلخ، يقول تعالى:﴿**حم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذّنبِ وَقَابِلِ التّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾[غافر/01-03]. وكذلك بالنّسبة لافتتاحيّة سورة الشّورى، يقول تعالى:﴿**حم. عسق. كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. تَكَادُ السّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ** ﴾[الشّورى/01-05] وافتتاحيّة الجاثيّة التي اشتملت على نعمة الخلق والإيجاد والتّسخير التي يعود الفضل فيها كلّها إلى المنعم الواحد وهو الله تعالى، يقول تعالى:﴿**حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . إِنَّ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنّهَارِ**

وَمَا أَنزَلَ اللَّـهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .تِلْكَ آيَاتُ اللَّـهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّـهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثيّة/ 01-06]ويقول عزّ من قائل في مطلع سورة الأحقاف: ﴿**حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّـهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالذينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأحقاف/ 01-03].

فهذه الافتتاحيات هي تعريف بالخالق عزّ وجلّ باعتباره المصدر الأوحد لكلّ النّعم بما في ذلك نعمة القرآن. أمّا افتتاحيّة كلّ من (فصّلت) و(الزّخرف) و (الدّخان) والتي بسط القول فيها عن الكتاب وصفاته، وكلّ شؤونه، مصدره وزمان نزوله، فإنّ ذلك لم يتمّ إلا من خلال صاحب الأمر (الله). وبذلك نستطيع أن نحدّد الغرض الذي انطوت عليه افتتاحيات السّور السّبع وهو الله عزّ وجلّ. وما الحديث عن آياته سواء المتلوة (القرآن) أو المشاهدة (الكونيّة) إلاّ استدراج للفكر والقلب للتعرّف بداية على صفات خالق ومنزّل هذه الآيات، فتصحيح العقيدة والدّلالة الصّحيحة على الله عز وجل هو المقصد الأكبر في القرآن الكريم كله، وفي المكي خاصّة، والذي يحتل فيه موضوع العقيدة المساحة الأكبر[100]، لأنّ «العقيدة هي الموضوع الرّئيسي أو الموضوع الوحيد في السّور المكيّة كلها، والباب الأكبر للعقيدة هو التّعريف بالله»[101]، وذاك هو المقصد الأعظم والحقيقة المطلقة. ولذلك راكمت افتتاحيات الحواميم صفات الله الحسنى (غافر، قابل التّوب، شديد العقاب، ذو الطّول، العزيز، العليم، الرّحمن، الرّحيم الحكيم، العلي، العظيم)، ومن ثمة ننبّه إلى هذا التّرتيب التّصاعدي العجيب الذي بنيت عليه افتتاحيات آل حاميم من حرفي الابتداء (حم)، إلى (الكتاب) المعجزة وصولا إلى مصدر هذا الإعجاز كلّه وهو (الله) تقدّست أسماؤه:

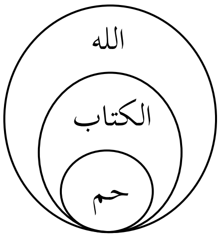

وما يدعم هذه الملاحظة -والله أعلم-هو انتقال الحديث مباشرة إلى المشركين في كلّ سور آل حم، وكأنّ الافتتاحيات بالإضافة إلى ما سبق هي تعريض بالمشركين الذين يحادون الله ويصدّون عن سبيله. ومن ثمة يمكننا القول: إن افتتاحيات الحواميم هي افتتاحيات استباقيّة قدمت الحديث عن الله عز وجل، وعن القرآن الكريم تعريفا وتنزيها وانتصارا له لأن مضمون آل حم مشحون بجدال وإنكار وصدّ وتكذيب.

الخاتمة: رأينا من خلال ما سبق أن لمبادي الكلام أسرارا لا تنقضي عجائبها منها: - أن تماثل مطالع سور آل حم كان سببا في تشاكلها وتناسبها سواء من حيث البناء أم المضمون ما يجعل منها آلا ورحما؛

- تحكم حرفي الافتتاح (ح، م) في مجموع هذه السّور، التي جاءت صدى لخصائص هذين الحرفين (ح، م) الصّوتيّة من همس وجهر، ورقة وتوسط بين الرّقة والشّدة؛

- كانت افتتاحيات الحواميم افتتاحيات حسم وفصل الخطاب في حقيقة الكتاب المنزل على سيدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-وهو أنّه وحي وتنزيل من الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛

-وكان كل ذلك بمثابة التّمهيد فقط أو استرعاء الانتباه للحديث عن الخالق عزّ وجلّ منزل هذا الكتاب فكان بناؤها تصاعديا، بدأ بقرع الأسماع بحرفي الافتتاح للتنبيه إلى معجزة القرآن من أجل الوصول إلى المقصد الأعظم وهو التّعريف بمنزل هذا الكتاب وهو الله عزّ وجلّ.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1-المصادر:

1-الآلوسي، شهاب الدّين السّيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار التّراث العربي، بيروت-لبنان، د ط، د ت.

2-الباقلاني، أبو بكر محمّد بن الطّيب: إعجاز القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان ط 1(1421هـ-2001م).

3-البغوي، الحسين بن مسعود: تفسير البغوي "معالم التّنزيل"، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمّد عبد الله النّمر وعثمان جمعة خيمريّة وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتّوزيع الرّياض، د ط، 1411هـ.

4-البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتب العلميّة، بيروت –لبنان–ط1415،1هـ–1995م.
5-أبو حيان الأندلسي، محمّد يوسف: البحر المحيط في التّفسير مراجعة: صدقي محمّد جميل، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، (1425 هـ/1426هـ–2005م).
6-ابن الزّبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم: –البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق: محمّد شعباني، المملكة المغربيّة، د ط، (1410هـ –1991م.
7 –ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التّنزيل تعليق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط 1، (1403هـ –1983م).
8-الزّجاج، أبو إسحاق محمّد بن أحمد: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط 1، (1408هـ–1988م).
9-الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والتّوزيع، بيروت–لبنان، د ط، (1421هـ–2001م).
10-الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التّأويل، تعليق: مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط 2، (1426 هـ–2005م).
11-الرّازي، فخر الدّين: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت–لبنان،ط 1(1401هـ–1981م).
12-الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت.
13-السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمان: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1408هـ–1988م).
14-الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن محسن التّركي، مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط 1، (1422هـ–2001م).
15-ابن الضّريس، أبو عبد اله محمّد بن أيوب، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكّة وما أنزل بالمدينة، تحقيق عروة بدير، در الفكر، دمشق –سوريّة.
16-ابن عطيّة، أبو محمّد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1422هـ–2001 م).
17-ابن فارس، أبو الحسن أحمد: معجم مقاييس اللغة، تعليق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1420 هـ–1999م).
18-القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السّنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرّسالة بيروت، ط 1، (1427 هـ–2006 م).
19-القنوجي، أبو الطّيب صديق بن الحسن: فتح البيان في مقاصد القرآن، قدم له: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة، بيروت–لبنان، (1412هـ–1992م)، ج 12، ص 154.

20–ابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الدّعوة الإسلاميّة ط 1، (1424هـ–2003م).

21–ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب دار صادر، بيروت، ط 3، 2004م.

22–النّحاس، أبو جعفر أحمده بن محمّد بن إسماعيل: إعراب القرآن، تعليق: الشّيخ خالدّ العلي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط 1، (1427هـ–2006م).

23–النّسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النّسفي (مدارك التّأويل وحقائق التّنزيل) حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي، دار الكلم الطّيب، بيروت–لبنان، ط 1، (1419هـ–1998م).

2–المراجع:

1–أشهبون عبد المالك: عتبات الكتابة في الرّواية العربيّة، دار الحوار، اللاذقيّة–سوريّة، ط 1، 2009م.

2–عبد الباقي محمّد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د ط (1422هـ–2001م).

3–الجمل، حسن عز الدّين: مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط 1، 2008م.

4–داود، محمّد محمّد: العربيّة وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، د ط، 2001 م.

5–درا ز، عبد الله: النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط 1 1970م.

5–ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م.

6–عباس، حسن: خصائص الحروف العربيّة ومعانيها –دراسة–، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، د ط، 1998م.

7–عبد الرّحمن، عائشة: التّفسير البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن **الأزرق**، دار المعارف مصر، د ط، 1971م.

8–عتر، نور الدّين: علوم القرآن الكريم، مطبعة الصّباح، دمشق–سوريّة، ط 1، (1414هـ –1993م).

9–قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط 15، (1408هـ–1988م).

10–أبو موسى، محمّد: آل حم الشّورى–الزّخرف –الدّخان، دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، (1431 هـ–2010 م.

11– أبو موسى، محمّد: آل حم، غافر –فصّلت دراسة في أسرار البيان، ، مكتبة وهبة القاهرة، ط 1، 1420هـ–2009 م.

12–منصر، نبيل: الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء–المغرب، ط 1، 2007م.

الهوامش:

(1) أشبهون، عبد المالك: عتبات الكتابة في الرّواية العربيّة، دار الحوار، اللاذقيّة–سوريّة، ط2009،1م،ص 9.

(2) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1408هـ–1988م)، ج 1ص 58.

(3) الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والتّوزيع، بيروت–لبنان، د ط، (1421هـ–2001م)، ج 1 ص 213.

(4) ينظر: القنوجي، أبو الطّيب صديق بن الحسن: فتح البيان في مقاصد القرآن، قدم له: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة، بيروت–لبنان، (1412هـ–1992م)، ج 12 ص 154

(5) ينظر: الباقلاني، أبو بكر محمّد بن الطّيب: إعجاز القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1421هـ–2001م)، ص ص 36–37.

(6) ينظر: الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التّأويل، تعليق: مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط 2، (1426 هـ–2005م)، ج1، ص 30–35.

(7) البغوي، الحسين بن مسعود: تفسير البغوي "معالم التّنزيل"، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمّد عبد الله النّمر وعثمان جمعة خيمريّة وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتّوزيع الرّياض، د ط،1411هـ،ج 1، ص58.

(8) الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 222.

(9) ينظر: الباقلاني، أبو بكر محمّد بن الطّيب: إعجاز القرآن، ص 37.

(10) الرّازي، فخر الدّين: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط 1، (1401هـ–1981 م)ج27، ص 142.

(11) الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف، ج 1، ص ص 32–33.

(12) الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 25، ص 27.

(13) الزّجاج، أبو إسحاق محمّد بن أحمد: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط 1، (1408هـ–1988م).، ج 4، ص 365.

(14) ينظر: ابن الزّبير الغرناطي، أحمد ابن إبراهيم:ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التّنزيل، تعليق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط 1، (1403هـ –1983م).، ج 1، ص 174.

(15) المصدر نفسه، ج 1، ص ص 176–177.

(16) الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 218.

(17) ينظر: المصدرنفسه، ج 1، ص ص 218–219.

(18) ينظر: داود، محمّد محمّد: العربيّة وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، د ط 2001 م، ص، ص، 122، 123، 124.

(*) لم يذكر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن منها إلا أربعة فقط، ينظر: ص 377.

(19) أبو موسى، محمّد: آل حم الشّورى–الزّخرف –الدّخان، دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، (1431 هـ–2010 م)، ص 201.ص 298.

(20) ابن عطيّة، أبو محمّد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1422هـ–2001 م) ،ج 1، ص 63.

(21) ينظر:عتر،نور الدّين:علوم القرآن الكريم،مطبعة الصّباح،دمشق–سوريّة، ط1 (1414هـ–1993م)، ص67.

(22) روي عن النّبي صلى الله عليه وسلم قوله : «لكل شجر ثمر، وإن ثمر القرآن ذوات حم هن روضات مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم ومن قرأ حم الدّخان في ليلة الجمعة غفر له» ابن الضّريس، أبو عبد اله محمّد بن أيوب فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكّة، وما أنزل بالمدينة، تحقيق عروة بدير، در الفكر دمشق –سوريّة.

(23) الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن محسن التّركي، مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط 1، (1422هـ–2001م)،ج 20 ص 286.

(24) المصدر نفسه، ج 20، ص 542.

(25) المصدر نفسه، ج 20، ص 660.

(26) المصدر نفسه، ج 20، ص 445.

(27) البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتب العلميّة ، بيروت –لبنان–ط1415،1هـ–1995م.ج 6، ص 597.

(28) الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 132.

(29) ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، د ط، 1984م ج 24، ص 80.

(30) أبو موسى محمّد: آل حم، غافر–فصّلت دراسة في أسرار البيان، ، مكتبة وهبة القاهرة ط 1، 1420هـ–2009م، ص 311.

(31) الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 95.

(32) ينظر: أبو موسى، محمّد: آل حم غافر–فصلت دراسة لأسرار البيان، ص 314.

(33) عباس، حسن: خصائص الحروف العربيّة ومعانيها –دراسة–، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، د ط، 1998م.ص 76.

(34) قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط 15، (1408هـ–1988م)،ج 25، ص 3206.

(35) ابن الزّبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم: البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق: محمّد شعباني، المملكة المغربيّة، د ط، (1410هـ –1991م، ص 303.

(36) أبو محمّد موسى: آل حم الشّورى–الزّخرف–الدّخان دراسة في أسرار البيان، ص 408.

(37) عبد الرّحمن، عائشة: التّفسير البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف مصر، د ط، 1971م.، ص 166.

(38) المرجع نفسه، ص 166.

(39) ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، ج 1، ص 213.

(40) أبو موسى، محمّد: آل حم–غافر–فصلت دراسة في أسرار البيان، ص 18.

(41) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين بن اسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الدّعوة الإسلاميّة، ط 1، (1424هـ–2003م).، ج 1، ص 44.

(42) عبد الرّحمن، عائشة: الإعجاز البياني للقرآن، ص 109.

(43) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن: الاتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 146.

(44) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر بيروت ط 3، 2004م ، 13،ج ص 17، مادة (كتب).

(45) ابن فارس، أبو الحسن أحمد: معجم مقاييس اللغة، تعليق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1420 هـ–1999م)، ج 2، ص 434. مادة(كتب)

(46) الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 347.

(47) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، ج، 13، ص 18 مادة (كتب).

(48) الأصفهاني، الرّاغب أبو القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت، ص 549.

(49) الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 95.

(50) أبو موسى، محمّد: آل حم الشّورى–الزّخرف–الدّخان، دراسة في أسرار البيان ص253.

(51) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، ج 12، ص 50، مادة (قرأ).

(52) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن: الاتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 148.

(53) الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، ص 520.

(54) الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص348.

(55) الطّبري،أبو جعفر محمّد بن جرير:جامع البيان الطّبري،المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن،ج1ص 95.

(56) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن: الإتقان في علوم القرآن، ج 1، ص148.

(57) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، ج 12، ص 50 مادة (قرأ).

(58) منصر، نبيل: الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء–المغرب، ط 1، 2007م، ص 119.

(59) دراز، عبد الله: النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، د ط، د ت ص ص 12–13.

(60) أبو موسى، محمّد: آل حم غافر– فصّلت، دارسة في أسرار البيان، ص 29.

(61) الجمل، حسن عز الدّين: مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط1، 2008م، ج 5، ص 49.

(62) الأصفهاني، الرّاغب أبو القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، ص 631.

(63) ابن فارس، أبو الحسن أحمد: مقاييس اللغة، ج 2، ص 554، مادة (نزل)

(64) الجمل، حسن عز الدّين: مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، ج 5 ص 49.

(65) الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 95.

(66) البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج 6 ص 483.

(67) ابن الزّبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم: ملاك التّأويل، ج 1، ص ص 286–287.

(68) ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، ج 24، ص 230.

(69) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزّبير: ملاك التّأويل، ج 1، ص 450.

(70) أبو موسى، محمّد: آل حم–غافر–فصلت دراسة في أسرار البيان، ص 319.

[71] النّسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النّسفي (مدارك التّأويل وحقائق التّنزيل) حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي، دار الكلم الطّيب، بيروت–لبنان، ط 1، (1419هـ–1998م)، ج 3، ص 286.

[72] ابن الضّريس،محمّد بن أيوب: فضائل القرآن، ص 71.

[73] الأصفهاني، الرّاغب أبي القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، ص 631.

[74] أبو حيّان الأندلسي، محمّد بن يوسف: البحر المحيط في التّفسير مراجعة: صدقي محمّد جميل، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، (1425 هـ/1426هـ–2005م)، ج 3 ص 16.

[75] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، ج 15، ص 172 مادة (وحى).

[76] الزّجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري: معاني القرآن وإعرابه، ج 4، ص 405.

[77]القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السّنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرّسالة بيروت، ط 1، (1427 هـ–2006 م).، ج 19، ص 5.

[78] البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج 7 ص 4.

[79] ينظر: النّحاس، أبو جعفر أحمده بن محمّد بن إسماعيل: إعراب القرآن، تعليق: الشّيخ خالدّ العلي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط 1، (1427هـ–2006م).، ص 938.

[80] ابن الزّبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم: ملاك التّأويل، ج 2، ص ص 674–675–676.

[81] ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، ج 25، ص 161.

[82] الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف، ج 25، ص 984.

[83]الآلوسي، شهاب الدّين السّيد محمود:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار التّراث العربي، بيروت–لبنان، د ط، د ت، مج 13، ج 25، ص 64.

[84] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير: البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 63.

[85] ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، ج 25، ص 278.

[86] الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشّاف، ج 25، ص ص 998–999.

[87] الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزّبير: البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 296.

[88] الآلوسي،شهاب الدّين السّيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، مج 12،ج24، ص 348.

[89] أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف: البحر المحيط، ج 9، ص 285.

[90] ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين بن إسماعيل: تفسير ابن كثير، ج 4، ص 169.

[91] الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف، ج 25، ص 984.

[92]عبد الباقي محمّد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د ط، (1422هـ–2001م).ص 559–560.

[93] الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف، ج 25، ص 988.

[94] أبو موسى، محمّد: آل حم الشّورى–الزّخرف، الدّخان دراسة في أسرار البيان، ص 254.

[95] ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، ج 25، ص 159.

[96] الآلوسي، شهاب الدّين السّيد محمود: روح المعاني، مج 13، ج 25، ص 65.

[97] الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 195.

[98] الآلوسي، شهاب الدّين السّيد محمود: روح المعاني، مج 13، ج 25، ص 65.

(99) الرّازي، محمّد بن فخر الدّين: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 195.

(100) ينظر: قطب، محمّد: دراسات قرآنيّة، دار الشّروق، القاهرة، د ط، د ت، ص 21 وما بعدها.

(101) المرجع نفسه، ص 31.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1-المصادر:

1-الآلوسي، شهاب الدّين السّيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار التّراث العربي، بيروت-لبنان، د ط، د ت.

2-الباقلاني، أبو بكر محمّد بن الطّيب: إعجاز القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان ط 1، (1421ه-2001م).

3-البغوي، الحسين بن مسعود: تفسير البغوي "معالم التّنزيل"، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمّد عبد الله النّمر وعثمان جمعة خيمريّة وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتّوزيع الرّياض، د ط، 1411ه

4-البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتب العلميّة ، بيروت -لبنان-ط1415،1ه-1995م.

5-أبو حيان الأندلسي، محمّد يوسف: البحر المحيط في التّفسير مراجعة: صدقي محمّد جميل، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، (1425 ه/1426ه-2005م).

6-ابن الزّبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم:- البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق: محمّد شعباني، المملكة المغربيّة، د ط، (1410ه -1991م.

7 -ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التّنزيل تعليق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط 1، (1403ه -1983م).

8-الزّجاج، أبو إسحاق محمّد بن أحمد: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط 1، (1408ه-1988م).

9-الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والتّوزيع، بيروت-لبنان، د ط، (1421ه-2001م).

10-الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التّأويل، تعليق: مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط 2، (1426 ه-2005م).

11-الرّازي، فخر الدّين: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 1، (1401ه-1981 م).

12-الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت.

13-السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمان: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط 1، (1408ه-1988م).

14-الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن محسن التّركي، مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط 1، (1422ه-2001م).

15–ابن الضّريس، أبو عبد اله محمّد بن أيوب، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق عروة بدير، در الفكر، دمشق –سوريّة، ط16–ابن عطيّة، أبو محمّد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1422هـ–2001 م).

17–ابن فارس، أبو الحسن أحمد: معجم مقاييس اللغة، تعليق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط 1، (1420 هـ–1999م).

18–القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السّنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرّسالة بيروت، ط 1، (1427 هـ–2006 م).

19–القنوجي، أبو الطّيب صديق بن الحسن: فتح البيان في مقاصد القرآن، قدم له: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة، بيروت–لبنان، (1412هـ–1992م)، ج 12، ص 154.

20–ابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الدّعوة الإسلاميّة ط 1، (1424هـ–2003م).

21–ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب دار صادر، بيروت، ط 3، 2004م.

22–النّحاس، أبو جعفر أحمده بن محمّد بن إسماعيل: إعراب القرآن، تعليق: الشّيخ خالدّ العلي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط 1، (1427هـ–2006م).

23–النّسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النّسفي (مدارك التّأويل وحقائق التّنزيل) حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي، دار الكلم الطّيب، بيروت–لبنان، ط 1، (1419هـ–1998م).

<u>2–المراجع:</u>

1–أشهبون عبد المالك: عتبات الكتابة في الرّواية العربيّة، دار الحوار، اللاذقيّة–سوريّة، ط 1، 2009م.

2–عبد الباقي محمّد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د ط (1422هـ–2001م).

3–الجمل، حسن عز الدّين: مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط 1، 2008م.

4–داود، محمّد محمّد: العربيّة وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، د ط، 2001 م.

5–درا ز، عبد الله: النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط 1 1970م.

5–ابن عاشور، محمّد الطّاهر: التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م.

6–عباس، حسن: خصائص الحروف العربيّة ومعانيها –دراسة–، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، د ط، 1998م

7–عبد الرّحمن، عائشة: التّفسير البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن **الأزرق**، دار المعارف مصر، د ط، 1971م.

8–عتر، نور الدّين: علوم القرآن الكريم، مطبعة الصّباح، دمشق–سوريّة، ط 1، (1414هـ –1993م).

9–قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط 15، (1408هـ–1988م).

10–أبو موسى، محمّد: آل حم الشّورى–الزّخرف –الدّخان، دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، (1431 هـ–2010 م.

11–أبو موسى، محمّد: آل حم، غافر–فصّلت دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، القاهرة ط 1، 1420هـ–2009 م.

12–منصر، نبيل: الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء–المغرب، ط 1، 2007م.